اسم الدرس : موسم العشر والذكر حكم وأسرار

تصنيف الدرس : منوعات | موسم الحج

محاضرة موسم العشر والذكر حكم وأسرار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

_نحن مقبلون بإذن الله عز وجل على موسم العشر الأوائل من ذي الحجة، أسأل الله أن يبلغنا هذه الأيام، هذا الموسم العظيم الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه أفضل أيام الدنيا، ويكفي لمعرفة فضل هذه الأيام أن تنظر فقط إلى تنازع العلماء في أيهما أفضل هل العشر الأواخر من رمضان أم العشر الأوائل من ذي الحجة؟

مجرد أن تقرأ هذا التنازع تعرف قيمة هذه الأيام، وأن بعض العلماء فضّل العشر الأوائل من ذي الحجة، وبعض العلماء فضل العشر الأواخر من رمضان، والبعض حاول أن يوازن فقال بأن ليل العشر الأواخر من رمضان أفضل ونهار العشر الأوائل من ذي الحجة أفضل.

نحن نبحث عن أفضل أيام في الدنيا، فالسنة ٣٦٥ يوم وتوجد أيام مهمة في السنة، المؤمن له موازين مختلفة لذلك كما يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان بعض العلماء قال أن الحديث موقوف على أبي هريرة وبعضهم رفعه للنبي صلى الله عليه وسلم أن (الشتاء ربيع المؤمن)[1]، لماذا الشتاء ربيع المؤمن؟

قال فيما يُروى عنه صلى الله عليه وسلم –سواء كان مرفوعًا أو موقوفًا– (قَصُر نهاره فصامه، وطال ليله فقامه) إذًا **المؤمن يقيس الأزمنة بمعايير مختلفة، هو ينظر إلى الأفضل عند الله.**

قال صلى الله عليه وسلم: (ما من أيامٍ العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام)[2]

---

[1] قال الامام السخاوي رحمه الله تعالى في المقاصد الحسنة:
"حديث الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه، أبو يعلى والعسكري بتمامه، وأحمد وأبو نُعيم باختصار، كلهم من حديث دراج، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد به مرفوعاً. ودراج ممن ضعفه جماعة، وعد هذا الحديث فيما أنكر عليه، لكن قد وثقه ابن معين وابن حبان، وقال ابن شاهين في ثقاته: ما كان من حديثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، فليس به بأس، وعليه مشى شيخي في تقريبه حيث قال: إنه صدوق في حديثه عن أبي الهيثم، ضعيف، يعني في غيره، وعكس أبي داود فقال: أحاديثه مستقيمة، إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد.

[2] ما العَمَلُ في أيّامٍ أفْضَلَ منها في هذه، قالوا: ولا الجِهادُ؟ قالَ: ولا الجِهادُ، إلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخاطِرُ بنَفْسِه ومالِه، فلَمْ يَرْجِعْ بشَيءٍ.
الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري
الصفحة أو الرقم: 969 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

إذًا أنت تبحث عن ماذا يحب الله سبحانه وتعالى؟ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق، خلق الشمس والقمر ونتج بالنسبة لنا نحن الزمان الدنيوي الذي نحن فيه -وليس ما قبل خلق الشمس والقمر-، وفضّل سبحانه وتعالى من المخلوقات ما يشاء سبحانه وتعالى، فضّل أمكنة وفضّل أزمنة سبحانه وتعالى، يختص بفضله ما يشاء وبرحمته ما يشاء سبحانه وتعالى.

فخَصّ الله سبحانه وتعالى هذه الأيام التي هي الأيام العشر، هذا الموسم العظيم الذي نحن مقبلون عليه، هذا الموسم حدثت فيه أحداث عِظَام، فهو:

- مَوْسم التمام، موسم التضحية، موسم البذل.
- هذا موسم اجتهاد إبراهيم عليه السلام في بناء الكعبة.
- هذا الموسم الذي في ختامه ضحى إبراهيم عليه السلام بأعز ما يملك ووضع السكين على رقبة ابنه وكانت الأضحية.
- الموسم الذي سعت فيه هاجر بين الصفا والمروة.
- موسم عظيم..، موسم كلم الله سبحانه وتعالى فيه موسى {وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ}.

ستجد مثلًا في زماننا من الناس من يحتفل بعيد ميلاده، هو يعظم أزمنة معينة، هو من كثرة ما يعظم نفسه يرى أن مجيئه إلى هذا العالم يستحق الاحتفال مثلًا، أو بعض أناس لا أدري ما الفقه من هذا أنه يحتفل بعيد زواجه مثلًا، هو أكيد له نظرة معينة.

فالناس تحتفل بأزمنة معينة، **والمؤمن العيد عنده مرتبط بالطاعة**، فعيد الفطر مرتبط بالاجتهاد في الصيام في رمضان، وعيد الأضحى مرتبط بالاجتهاد في الحج أو العشر الأوائل من ذي الحجة عمومًا في الذكر للذي لم يُقَدَّر له الحج -أسأل الله عز وجل أن يتابع لنا جميعًا بين الحج والعمرة-.

فإذًا هذا الموسم يحتاج وقفة، وسنحاول أن نتحدث اليوم عن وقفات مع هذا الموسم، ولاسيما مع أفضل الأعمال كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم آمرًا لنا -استحبابًا- أن نكثر في هذه الأيام من الذكر، نريد أن نتحدث عن قضية **الذكر**.

* قبل أن أتكلم عن الذكر؛ كما قلت أن هذا الموسم موسم خليط من المشاعر:

- مشاعر الشوق.
- مشاعر الإقبال.
- مشاعر التضحية واستحضار أن سيدنا إبراهيم وضع السكين على رقبة ابنه.
- مشاعر الشوق، موسم الترك وأن الحجاج يتركون الأوطان والبلاد والأولاد والأموال ويترك التجارة ويترك كل شيء ويسافر لبلاد بعيدة ولاسيما تخيل معي قبل وجود السيارة والطائرة، الذي كان يأتي ليحج من المغرب أو يحج من الصين، تخيل كل هذه المسافة يأتيها برًا أو بحرًا مسافة عظيمة، لماذا كل هذا السفر؟! قال صلى الله عليه وسلم (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد).[3]

الإنسان يسافر ويقطع مسافة طويلة لأجل الطاعة، نجد الآن من أجل مثلًا نوع من أنواع المباحات والترويح عن النفس الناس تسافر أماكن معينة، لكن لأجل الاجتهاد مثلًا في طلب العلم قلما تجد هذا، الآن الرحلة في طلب العلم أصبحت قليلة جدًا، الإنسان يسافر يطلب العلم أو يسافر للمسجد الحرام لأداء طاعة معينة.

فإذًا هذا الموسم موسم البذل موسم التضحية.

- قبل أن نبدأ نتكلم عن قضية الذكر، سأشير سريعًا لنقطة كنت أشرت إليها في أكثر من مَوْطن قبل ذلك،

فلنتخيل مواسم الطاعة وارتباطها مع بعض، نحن نخرج من موسم رمضان ندخل مباشرةً في موسم الحج؛ لذلك قال ربنا سبحانه وتعالى الحج ماذا؟ أشهر، الحج ليس العشر الأوائل من ذي الحجة وثلاثة أيام التشريق، لا {الحج أشهر}.

---

[3] [عن أبي هريرة:] لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلّا إلى ثَلاثَةِ مَساجِدَ: مَسْجِدِي هذا، وَمَسْجِدِ الحَرامِ، وَمَسْجِدِ الأقْصى.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ١٣٩٧ • [صحيح] • شرح رواية أخرى

حسنًا متى تبدأ هذه الأشهر؟ تبدأ من أول شوال أي بمجرد ما نخرج من رمضان نبدأ أشهر الحج: شوال و ذو القَعْدة و ذو الحجة، مع خلاف هل هم العشر الأوائل فقط أم كل الشهر، أي هل المقصود جزء من الشهر وقيل عنه مجازًا شهر أم كل الشهر، أيا كان هذا الخلاف لا يعنينا.

موسم رمضان أنت تتربى فيه على معاني معينة، وموسم الحج تتربى فيه على معاني معينة، وكذلك كل عبادة تُربِّي بداخلك معاني معينة وغياب العبادات أو جزء من العبادات من حياتك يجعل هناك إشكاليات موجودة عندك، قال صلى الله عليه وسلم (من لم يغزُ أو تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبةٍ من شعب النفاق)[4].

إذًا من هذا الحديث قد يُستنبط أن **كل طاعة تتركها أو حتى الطاعة التي تركتها وأنت لم تُحَدّث نفسك بها هذا يسبب عندك إشكالًا في القلب**، فالذي لم يجاهد أو يُحدِّث نفسه بالجهاد سيصبح عنده إشكال في القلب أنه فيه شُعبة من شُعَب النفاق، وهذه نقطة مهمة جدًا أن عندنا الإيمان ليس كتلة واحدة إما يأتي أو يذهب.

وهذه إشكالية فكر الخوارج أن إما يوجد إيمان أو لا يوجد، مرتكب الكبيرة عندهم مخلد في النار ويُنزع منه الإيمان، لماذا؟ لأنه يتعامل مع الإيمان ككتلة واحدة وأنه لا يتجزأ، والنفاق كتلة واحدة؛ لا، الإيمان شُعَبْ والنِّفاق شُعَب، ويُمكن أن الإنسان يتلبس بشُعَب من الإيمان وشُعَب من النفاق.

وهذه دائمًا إشكالية أتمنى لو أقدم درسًا كبيرًا عن هذا الموضوع: "إشكالية الفكر الهندسي"، وخاصة أهل الهندسة عندهم مشكلة في التعامل مع الدين، فالحياة عنده زوايا حادة إما موجود أو غير موجود، عنده واحد زائد واحد يساوي اثنين، هو لا يستطيع أن يفهم أن طبيعة البشر غير هذا تمامًا، **الشخص الواحد يجتمع فيه شعب من الإيمان وشعب من النفاق.**

حتى طريقة التعليم المعاصرة والأرقام والحسابات وأن كل شيء لابد أن يكون قابلًا للقياس بالأرقام، حتى في علم الإدارة يقول لابد أن كل الأمور تكون Mesurable محسوبة لكي نستطيع أن نُقَيِّمَها.

---

[4] مَن ماتَ ولم يغزُ ولم يحدِّث نَفسَهُ بالغَزوِ ماتَ علَى شُعبةٍ من نفاقٍ
الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود
الصفحة أو الرقم: 2502 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

- فأصبح هذا الفكر "فكر الأرقام" أن الإنسان إما في هذا الاتجاه أو في ذاك، إما صح أو غلط، في حين أن طبيعة البشر.. طبيعة النفس الإنسانية يجتمع فيها خير وشر، وممكن المرء يتعجب كيف مثلًا أن فلانًا العريق في معاصي معينة يصدر منه فعل خير! أو العكس كيف أن فلانًا الذي يعمل في الدعوة يسقط في المعصية!

هذا طبيعي، الإنسان يجتمع فيه الخير والشر، وتوجد شُعَب ودرجات كثيرة جدًا من شُعَب الإيمان ومن شعب النفاق.

* فالشاهد أننا نقول كل طاعة تغيب تؤدي إلى إشكال عندك، فلنتحدث عن موسم رمضان وموسم الحج،

موسم رمضان أنت تتعلم فيه تلقي الوحي في نوع من الخَلْوَة، هذا أهم معنى في رمضان، وبداية الوحي كانت هكذا، بداية الدين عُزلة النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك سيدنا موسى بداية تلقيه الوحي كانت هكذا مُنْعزلًا عن الناس جو من الخلوة يتلقى معاني الوحي.

حال النبي صلى الله عليه وسلم كان أشبه بالاعتكاف وهو في الغار؛ ولذلك من أهم العبادات في رمضان في العشر الأواخر الاعتكاف، اعتكاف بمعنى عُكُوف وملازمة أي لا يوجد فيه حركة، فالمفترض أن تعتكف في خِبَاء مُنعزلًا عن الناس تقرأ القرآن، هذه عبادة، وهذا الأصل في سنة النبي صلى الله عليه وسلم هذا أفضل شيء تفعله في رمضان لكي تخرج بزاد.

فموسم رمضان فيه نوع من التربية على العُكُوف في المسجد، ملازمة ، قلة الحركة، كثرة تلقي معاني الوحي، وترك الشهوات، والبعد عن الناس وهذه أفضل بيئة تتلقى فيها المعاني، أنت تريد أن تُبْنى وتتلقى معاني الإيمان، فيتحقق هذا في بيئة رمضان وموسم رمضان.

لكن لا يصلح أن تكون كل الحياة بهذه الطريقة، الحياة فيها حركة، من طبيعة الحياة الحركة، والعلم الذي تتلقاه يحتاج إلى تنفيذ {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورا يَمْشِي...} طبيعة هذا الدين أنه يتحرك بل لم نصل إلى مرحلة الفرقان في الواقع كما تكلمت في درس "مرحلة الفرقان" إلا بعباد الرحمن الذين أول وَصْف لهم –لعباد الرحمن– ماذا؟

- {وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ} أول وصف ذُكِر لعباد الرحمن الذين بهم يحصل فرقان في المجتمع وتظهر حالة الحق والباطل واضحة أنهم يمشون بين الناس بأخلاق {يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا} هذه **أهم صورة من صُور تحقيق الدين في المجتمع أن ناس مطبقون للدين وعندهم قدرة على طول العبادة بالليل ويسيرون بين الناس بأخلاق طيبة** {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا}.

هذه أول صورة لتحقيق الدين في المجتمع، وليس ناس منعزلة، ليست {رَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا} كما في سورة الحديد عن النصارى، لا، ولكن "يمشون"، وكان هناك مقالة أشرت إليها أكثر من مرة "ديناميكية القرآن الكريم" أو "النور"، مسألة {أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي} أن هذا النور يتحرك.

- لذلك بمجرد أن انتهى موسم رمضان بدأ موسم الحج وهذا الموسم فيه حركة، موسم الحج فيه تحرك أنت تسافر لبلد وحين تصل لا تستقر، بخلاف الذي يقوم بأداء عمرة يطوف ويسعى ويمكث في مكة، أما الحج فيه حركة يصل مكة ويطوف، ثم يذهب إلى مِنى، ثم إلى عرفة، وبعدها إلى المزدلفة، ويعود مرة أخرى إلى منى، ثم يذهب ليطوف طواف الإفاضة ويرجع يمكث في منى، هناك حركة.

إذًا **موسم الحج موسم حركة، موسم رمضان موسم فيه نوع من العُكُوف.**

موسم رمضان يأتي قبل موسم الحج، **قبل أن تتحرك لا بد أن تُبنى، لكي تتحرك على بينة لابد أن تتلقى معاني الوحي**، وهكذا دَوَاليك، السنة هكذا تجلس في رمضان تتلقى معاني الوحي في نوع من الخلوة بعيدًا عن الناس؛ ثم تتحرك كي تطبق المعاني التي تعلمتها في رمضان تتحرك بها في وسط المشقة والزحمة.

الحج احتكاك مع الناس بخلاف رمضان، مثلًا في عرفة أو في منى أو في مزدلفة لا يصح أن يأتي أحد ويصنع لنفسه خباء ويجلس في هدوء، لا، الحافلات ستدهسه هناك، الناس كثر، هناك الزحام صورة غير عادية ربنا يرزقنا وإياكم الحج، هناك أنت ممكن تنام فتجد حافلة تمر بجانبك عادي جدًا.

هذا الموسم موسم احتكاك بالناس، والتقاء بكل طوائف الأرض، غير واقع العزلة الذي في رمضان

بحيث أن الإنسان يحتاج أن يجمع في حياته هذين القسمين:

* أن ينعزل كل فترة يتلقى معاني الوحي.

* ثم يبدأ يتحرك.

والصورتين –العزلة التي في رمضان والاحتكاك الذي في الحج– موجودتين في يوم المسلم، أنه بالليل يختلي في قيام الليل بعيدًا عن الناس يتلقى معاني الوحي، وبالنهار {إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحا طَوِيلٗا} يتحرك وسط الناس، لكن الحركة لابد أن يكون معها زاد، ما هو زاد الحركة؟ **الذكر**

العبادة التي تصلح مع الحركة هي عبادة الذكر، لذلك جاءت {إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحا طَوِيلا} مع {وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ} أنت تذكر مع الحركة، وإنما شُرِع الحج أصلًا والسعي بين الصفا والمروة لأجل ذكر الله، وأكثر عبادة جاءت {فاذكروا الله}، {واذكروا}، الذكر جاء كثيرًا مع الحج ومع الجهاد، العبادات المليئة بالحركة.

- فزاد الاعتكاف أمر، وزاد الحركة أمر آخر، لأن هذا الغرض منه التلقي وذاك الغرض منه البناء في المجتمع، أن تُطبق المعاني وتنشرها في المجتمع.

هذه محاولة سريعة لتصور مواسم الطاعة وما الذي تزرعه داخلنا، أنت محتاج فترة انعزال في رمضان تتلقى فيها، وانتبه ل "موسم الحج" متى بدأ؟ نحن ذكرنا وقلنا أن أشهر الحج تبدأ من متى؟ من أول شوال فلا توجد مسافة زمنية طويلة فاصلة بين التلقي والتطبيق وهذا هو البناء الأمثل للإنسان أنه يتلقى ويطبق ، يتلقى ويتحرك، ولا يظل فترات طويلة منعزلًا عن الناس ثم ينزل، لا، وإنما يعمل الاثنين، يختلي بالليل يصلي قيام ليل ثم ينزل بالنهار للناس هذا في اليوم، هذا نموذج مصغر للمسلم في اليوم الواحد، أما على مدار السنة موسم رمضان وموسم الحج.

قلنا إن موسم الحج موسم حركة، احتكاك، التقاء مع كل طوائف البشر، انتقال خبرات، ظهور الأخلاق يظهر دائمًا مع الاحتكاك، كل هذا يظهر، تحتاج زادًا لهذا، زاد الحركة.

الحج أصلًا من معانيه المَقْصِد، وجهتك لن تُحَدد بشكل صحيح، وجهتك لن تحدد بصورة سليمة إلا حين تكون تتلقى معاني الوحي بصورة سليمة.

إذًا المؤمن لكي يبدأ يومه بداية صحيحة يبدأ من قيام الليل، يتلقى معاني الوحي في قيام الليل فيزداد إيمانًا، ثم يخرج بالنهار، لذلك ربنا بعد ما قال {وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا} كيف اكتسبوا هذه القوة {وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا} لأنه كان بالأمس ليلًا يطيل في القيام وفي السجود، فلما خرج للمجتمع واحتك بالمجتمع وقابله نوع من الجُهَّال أساءوا إليه لم يُبَادلهم الجهل، كان معه الزاد الذي تلقاه ليلًا.

هذا موسم رمضان وبعده موسم الحج فيه حركة ونشر الخير الذي تلقيته، الدين يتميز بنوع من الحركة، الدين فيه دائمًا معنى التحرك والانتشار والتوسع، وهذه مشكلة الدولة الحديثة أنها قُطْر محدد ثابت مُعَين وحدود ثابتة، لا، الدين فيه نوع من الانتشار والتوسع، الدين ينتشر في العالم {لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا}، الدين فيه نوع من التوسع والانتشار.

موسم الحج موسم حركة، والحركة تحتاج لزاد والعبادة التي تصلح مع هذا هي عبادة الذكر، أنت متخيل الجهاد!! يحتاج ذكرًا، العباده التي يمكن أن تفعلها هي الذكر مع كثرة الحركة والانتقال والاحتكاك مع الناس و.. و.. تحتاج إلى زاد، ولن تستطيع في هذا الوقت أن تنفصل عن الناس لأن **لكل مقام عبادة معينة**.

- ربنا سبحانه وتعالى في سورة طه ذكر قضية التعجل مرتين: مرة مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومرة مع سيدنا موسى.

- النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجل بالقرآن من قبل أن يُقضَى إليه وحيه {وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡما}، النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعجل أن يُكرر الآيات ليحفظها ويُبلغها، فربنا قال له لا، فترة التلقي اجعلها فترة تلقي فقط، كان يتعجل الانتقال من مرحلة التلقي إلى مرحلة التبليغ فربنا يقول له لا، اعطِ وقت التلقي حقه.

-بخلاف سيدنا موسى، سيدنا موسى كان وسط قومه تعجل وترك المرحلة التي مع الدعوة أو التربية مع قومه إلى الخلوة قال {وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ} فقال له ربنا لا {وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ} أنت لما تركتهم فُتِنُوا، لماذا تعجلت؟

فأحيانًا الإنسان يكون في موطن وهذا يحدث يأتي في العشر الأواخر من رمضان يريد أن يتعجل ويخرج ويذهب في الدعوة ويتحرك، ويأتي لموسم فيه حركة في الحج يريد أن ينعزل، لا، الإنسان المؤمن عبد لله يُقال له اقعد يقعد، تحرك يتحرك، هو عبد لله سبحانه وتعالى.

وهذه مشكلة تقابل الإنسان في السير في الطريق إلى الله أنه يكون له رغبات، حتى في داخل العبادة له رغبات معينة والأرضى لله أمر آخر فيحدث تنازع،

حتى مثلًا في طلب العلم تجد أن الأولى والأنفع مثلًا لنفسه ولأمتِه عِلم مُعين، وهو يذهب ويتجه لشيء آخر، هنا لا نقول أنه يأثم، لكن **العبد الذي يريد أن يحقق العبودية يتحرى الأرضى لله حتى لو كان ثقيلًا على نفسه**.

قلنا مَوسم الحج موسم فيه تحرك وبذل وتضحية، ودائمًا أي حركة معها بذل وتضحية لأنك ستترك، أنت ستتحرك من مكان لمكان ستسافر وتعمل في الدعوة، تتحرك وتتعرض لأخطار، تترك زوجتك وأولادك، تترك بعض المشاغل الدنيوية لأن ربنا قال {وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا} عندما تترك الدنيا بعض الوقت تقف، فأنت عندما تتركها وتسافر هذا يعرض دنيتك لنوع من النقص، فأي حركة معها بذل وترك، كسيدنا إبراهيم كان يتحرك في الدعوة بين القارات والدول، فسيدنا إبراهيم ترك زوجته هاجر وإسماعيل وتركها وتحرك لمكان آخر، كان يتنقل بين مصر والحجاز والشام وكان يهاجر كثيرًا.

نأتي إلى قضية الذكر وأنه زاد خطير جدًا أثناء الحركة، دائمًا الشخص الذي يتحرك يحتاج لزاد لأن الحركة تستهلك من الإيمان، انتبهوا جيدًا: الحركة تستهلك من الإيمان بالضبط كالسيارة وهي تتحرك تستهلك من الوقود، أما وهي متوقفة فلا تستهلك، لذلك كثير من الناس لما ينعزل عن الناس ويجلس يقرأ القرآن يشعر أن إيمانه في السماء وأن كل مشاكله الإيمانية انتهت وحُلت.

مثلًا شاب مكث أسبوع في البيت يقرأ القرآن ويذهب التحفيظ ويصلي يشعر أن إيمانه في السماء، فينزل للجامعة يومًا واحدًا بالتأكيد يرى متبرجات ويطلق لسانه بالسباب على أصحابه وصاحباته ويجد الدنيا كما هي، ما هذا!!! أنا كنت متوقع أني تخلصت من كل هذا، أين كانت هذه الأشياء؟!!! هذه كانت رواسب نزلت استقرت ومع الحركة تتقلب، الشهوات وكل هذه القضايا والإشكاليات والأخلاق السيئة و.. تظهر مع الاحتكاك بالناس.

مثلًا شخص يجلس منعزلًا وحده عن الناس ويسمع مثلًا عن خُلق الحِلم والصبر وتَحمُّل أذى الناس تجده وهو وحده يشعر فعلًا أنه أصبح هكذا، وهذه الأخلاق فعلًا جميلة، لكن بمجرد أن يخرج ويشغل السيارة كي يخرج، يُفاجأ بالمشاكل مع الناس، ما الذي حدث؟! يفاجأ أن الواقع والاحتكاك مع الناس مختلف تمامًا، كنا شرحنا هذا في حديث (الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)[5].

- فأنت أثناء الحركة ستحتاج زادًا يذكرك بهذه المعاني؛ لذلك ربنا قال أنك تأتي يوم الجمعة {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ} المرة الوحيدة التي جاء فيها السعي مع الصلاة، لأن هنا يوجد ذكر ويوجد علم.

{فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ} واترك كل ما في يدك، هذا الجزء أشبه بموسم رمضان، اترك كل ما في يدك وتعال {وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ} لكن هناك كان عبادة وهنا علم {فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ} انتهى وقت الانقطاع وأريد أن أتحرك في الحياة {فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ} ماذا نفعل؟ {فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ} وبعد أن انتشروا في الأرض

---

5 - المؤمنُ الذي يُخالِطُ الناسِ و يَصبِرُ على أذاهُمْ ، أفضلُ من المؤمنِ الَّذي لا يُخالِطُ النَّاسَ و لا يَصبرُ على أذاهُمْ
الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع
الصفحة أو الرقم: 6651 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

{وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ} أنا محتاج أن أبيع وأشتري وأكسب وأحتك مع الناس وآتي بأموال فلابد مادام هناك حركة وتعامل مع الدنيا بعدها مباشرة {وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَ...} **ماذا؟** {وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ}

- تحتاج الذكر لكي لا تنسى المعاني التي سمعتها في خطبة الجمعة، أنت كنت تتلقى معاني، فالمفروض أن المؤمن يصطحب هذه المعاني معه وهو خارج المسجد، حسنًا كيف لا ينساها؟!

بالذكر {رِجَال لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَة وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ} هو جالس يبيع ويكسب في التجارة، والبيع هذا هو اللحظة التي ينتظرها التاجر، فهذا هو المكسب أي أنه ناجح، لذلك ربنا قال {رِجَال لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَة وَلَا بَيۡعٌ} مع أن البيع جزء من التجارة فالتجارة بيع وشراء، فذكر البيع الذي هو اللحظة التي ينتظرها التاجر، ولحظة المكسب ولحظة مسك المال اللحظة التي يشعر فيها الإنسان بالاستغناء، في هذه اللحظة هو لا ينسى ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وبدأ بالذكر.

إذًا قلنا مسألة إن الحركة تستهلك من الإيمان كالسيارة عندما تتحرك تستهلك من الوقود، فأنت تحتاج زادًا مستمرًا.

لذلك في قول الله سبحانه وتعالى {ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ} في سورة العنكبوت {إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ} أي الصلاة المقامة على حقيقتها {إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ} ما معنى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟

يقول العلماء أحيانًا يحدث نوع من التعارض الوهمي، يحدث عندنا نوع من التعارض بين الذي نراه في الواقع وبين آية في القرآن، ربنا يقول {إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ} ونحن يقابلنا مَنْ يُصلي ولا ينتهي عن الفحشاء والمنكر فهذا نوع من أنواع التعارض، فهنا نحتاج لحل هذا الإشكال، فقال بعض أهل العلم: إن الصلاة المقامة أي الصلاة التي سَتُصلى على حقيقتها، ويقيم الصلاة على حقيقتها هذه الصلاة ستمنعه عن الفحشاء.

وهذا يحدث كثيرًا أن الإنسان عندما يصلي صلاة صحيحة ويعيش معاني الصلاة ويذكر الله فيخرج وهو يشعر أن هناك حواجز أُقيمت بينه وبين المعصية أو أن الأوامر التي تلقاها في الصلاة لَتنهاه عن الفحشاء والمنكر فقد يستجيب أو لا يستجيب، أنت المفروض تسمع في الصلاة أوامر تنهاك عن الفحشاء والمنكر.

{إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ} وبعد ذلك تكملة الآية: {وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ} ما معنى ولذكر الله أكبر؟

1. بعض العلماء قال : ذكر الله أكبر من ذكرك أي شيء، بمعنى أن أي شيء في الدنيا لا يساوي شيئًا إذا قُورِن بذكر الله، لذلك الرازي قال معنى ظريف: ربنا لم يقل أكبر من كذا، وإنما تُرِكَت بدون نسبة –وليست أكبر من كذا– وقال هذا يدل أن ذكر ربنا أكبر بصورة كبيرة جدًا لدرجة أن لا يصح أن نعقد مقارنة، وذكر مثالًا يوضح ذلك فقال مثلًا حين نصف جبلًا أكبر من جبل نقول الجبل الأول أكبر من الجبل الثاني، لكن عندما نحب أن نقارن بين الجبل وخردلة –حبة صغيرة جدًا– لا يصح أن نقول الجبل أكبر من الخردلة بل نقول الجبل أكبر بكثير لأن هذه أحقر من أن تذكر بجوار الجبل، فقال إن ذكر الله أعظم من أن يذكر نسبة بينه، هذا معنى.

2. يوجد معنى آخر: قالوا إن ذكر الله ينهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من الصلاة، وكيف؟! قالوا لأن ذكر الله فيه مداومة، تستطيع أن تداوم على الذكر فسيمنعك فترة أطول عن الفحشاء والمنكر، أما الصلاة أوقاتها محدودة، ولن تستطيع أن تصلي طول الوقت لكن تستطيع أن تذكر كثيرًا، لن نقول طول الوقت لكن تستطيع أن تذكر كثيرًا.

ولذكر الله أكبر فيها أقوال كثيرة جدًا:

–قلنا الذكر أكبر من أي شيء.

–ذكر الله ينهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من الصلاة.

–والقول الأشهر عند ابن عباس: ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له، ربنا قال {فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ} أن المرء يقول "سبحان الله" هذا أمر عظيم أنه يعظم ربنا، والأعظم من هذا أنه الآن في الملأ الأعلى يقول الله

لملائكته أن فلانًا ابن فلان ذكرني فيذكر الله سبحانه وتعالى هذا العبد الذي كان من نطفة يذكره في الملأ الأعلى، هذا هو الأعظم، فذكر الله لنا أعظم من ذكرنا له، وهذا أحد معاني ذكر الله أكبر.

- لذلك بعض العلماء قال ذكر الله هنا بمعنى الصلاة نفسها، أو القرآن، أو الذكر، ثلاث أقوال في ذكر الله،
- المعنى الذي سنختاره أن ذكر الله أكبر أي المداومة على الذكر ينهى عن الفحشاء والمنكر أكثر من الصلاة.

لذلك لما جاء سيدنا حنظلة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله نكون عندك فتذكرنا بالجنة والنار فكأنا رأيَ عين فإذا انتقلنا إلى المنزل وعافسنا الزوجات والأولاد وانشغلنا بالضيعات نسينا كثيرًا) ماذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: (يا حنظلة لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون فيها عندي وعلى الذكر)[6] -انتبه- إذًا لكي يصل الإنسان إلى مرتبة رأي العين -هذه أول نقطة وأهم نقطة أريد أن أتكلم عنها في الذكر- **الذكر انتقال إلى عالم الغيب.**

الذكر قفزة، ومعايشة، وانتقال إلى عالم آخر غير عالم الشهادة الذي تعيش فيه، أنت تذهب إلى مكان آخر، مهم جدًا أن تذهب إلى هذا العالم -عالم الغيب- وتراه، أن تُعايش هذا العالم بقلبك -بالتأكيد لن تراه بعينك في الدنيا- لن تراه بعينك (اعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)[7] لن يرى أحد

---

[6] لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يا حَنْظَلَةُ قالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قالَ: سُبْحَانَ اللهِ ما تَقُولُ؟ قالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، يُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هذا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حتَّى دَخَلْنَا علَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَما ذَاكَ؟ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِكَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ إنْ لو تَدُومُونَ علَى ما تَكُونُونَ عِندِي، وفي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ علَى فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

الراوي : حنظلة بن حذيم الحنفي | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

[7] خطبنا رسولُ اللهِ فكان أكثرُ خطبتِه يُحَدِّثُنا عَنِ الدجالِ ويُحَذِّرُناه وإنه يبدأُ فيقولُ : أنَا نَبِيٌّ ولا نَبِيَّ بعدي ثم يُثَنِّي فيقولُ : أنَا ربُّكم ولن تَرَوْا ربَّكم حتى تموتوا وإنه أعورُ وإنَّ ربَّكم ليس بأَعْوَرَ

الراوي : أبو أمامة الباهلي | المحدث : الألباني | المصدر : تخريج كتاب السنة

الصفحة أو الرقم: 429 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

ربه إلا بعد أن يموت، لن ينتقل أحد إلى عالم الغيب ويرى الملائكة على حقيقتها لا سيما من غير الرسل إلا بالموت، حسنًا كيف أنتقل إلى عالم الغيب؟ كيف أراه؟ **بقلبك**

وتأمل سيدنا حنظلة يقول للنبي فتذكرنا عن الجنة والنار فكأني ماذا؟ رأي عين، فكأنه رأى عالم الغيب، الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.

إذًا مسألة رؤية الغيب هذه مذكورة ويُقصد بها الرؤية القلبية في مقام الإحسان أو في حديث حنظلة، وربنا يقول {أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ}، {أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} وأنت لم تر هذا لكن **الذي يُعايش القرآن حقيقةً كأنه يرى هذه المشاهد.**

واقع عالم الشهادة صعب ومليء بالفتن وخاصة لمن يريد أن يعمل في الإصلاح والدعوة إلى الله، ودائمًا موارد وإمكانيات أهل الدعوة وأهل الدين قليلة، وإمكانيات أهل الباطل كثيرة، قال ربنا سبحانه وتعالى من لدن نوح {وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيل} دائمًا عدد المؤمنين قليل {وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ}.

فالذي سيعتمد على عالم الشهادة فقط سيُحبط ويصيبه الاكتئاب وقد ينتحر، وهذا يفسر أحيانًا كيف أن فردًا يكون يعمل للدين ويكتئب وينتحر، نسأل الله السلامة والعافية، ذلك لأنه تربى على أمر واحد فقط، تربى على التمكين، رؤية التمكين في الدنيا قبل أن يموت، فحين يصطدم بصخرة الواقع يفاجأ بأن هناك مسافات بالحسابات الهندسية، وهذه أحد إشكاليات التفكير الهندسي.

أن بالحسابات الرياضية الهندسية يكون مستحيلًا أن يحدث تمكين بالأسباب الموجودة بدون نظر لعالم الغيب وقدرة الله والملائكة وجنود الله سبحانه وتعالى، بدون النظر لهذه المنطقة بهذا التفكير الدنيوي البحت وبالأسباب سيقول: "هذا التمكين يحتاج ملايين السنين الضوئية، هؤلاء الناس يسبقونا بملايين السنين الضوئية، أيّ تمكين؟!".

هو لا يعرف أن الأمور تنقلب في لحظة، المهدي يصنعه الله بين يوم وليلة،{إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً} قرى تدمر في لحظة، هذا عالم الغيب، فالذي يعايش عالم الشهادة فقط يصاب باكتئاب، أنت تحتاج بين كل فترة أن تنتقل إلى عالم الغيب.

- **كيف تنتقل إلى عالم الغيب؟**

*منها بالتأكيد القرآن في قيام الليل فهو رحلة في عالم الغيب أصلًا، ويا ليتك تُعايش أحداث القرآن، وممن حاول أن يبدع في هذه الفكرة كان "سيد قطب" في كتاب "التصوير الفني" كان يوجد بعض الأخطاء في الألفاظ التي استعملها للأسف لكن الكتاب كان فيه فكرة مبدعة، وكذلك أخوه في كتاب "دراسات قرآنية" وخاصة في المقدمة حاول أن يوصل للقارئ فكرة كيف تعايش الحدث.

وبما أننا نتكلم عن الذكر وموسم العشر الأوائل من ذي الحجة وكان أشار إليه "محمد قطب" في مقدمة "دراسات قرآنية" فوصف المشهد البديع {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا}: أريد منك أن تعيش المشهد، كأنك تقف على تل أو جبل بعيدًا وترى جبلًا ضخمًا وترى من بعيد أن هناك شخصًا وهو سيدنا موسى ويدعو ويكلم الله سبحانه وتعالى {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ} فلما كلمه الله –وشرحنا هذا بالتفصيل في سورة الأعراف– ازداد شوقًا لرؤيته وهذه قيمة ولذة الطاعة، أن الطاعة تعطيك لذة تجعلك تريد المزيد.

من يذق لذة سورة الكهف مثلًا يريد أن يذوق لذة سورة مريم، فيذوق لذة سورة مريم فيرجو أن يذوق لذة سورة طه، والذي يعيش في جنة سورة الأنبياء يتمنى أن يعيش في جنة سورة الحج، والذي يعيش في جنة الصيام، يرجو أن يعيش في جنة الزكاة والصلاة، والذي يعيش في جنة الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يريد أن يستزيد، الطاعة هكذا لذة تأتي بلذة تأتي بلذة (وأسألك لذة النظر إلى...)[8] حتى يصل إلى أعلى لذة: لذة النظر إلى وجه الله.

[8] صلَّى عمَّارُ بنُ ياسرٍ بالقومِ صلاةً أخفَّها ، فكأنَّهم أنْكروها ! فقالَ : ألم أُتمَّ الرُّكوعَ والسُّجودَ ؟ قالوا : بلى ، قالَ أمَّا أنِّي دعوتُ فيها بدعاءٍ كانَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يدعو بِهِ اللَّهمَّ بعلمِكَ الغيبَ وقدرتِكَ على الخلقِ أحيني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيرًا لي وأسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادةِ وَكلمةَ الإخلاصِ في الرِّضا والغضبِ وأسألُكَ نعيمًا لاَ ينفدُ وقرَّةَ عينٍ لاَ تنقطعُ وأسألُكَ الرِّضاءَ بالقضاءِ وبردَ

فالشاهد لما كلمه الله {قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي} فأنت تسمع من بعيد فقلبك ينخلع عند {لَن تَرَىٰنِي} لأنك أنت كذلك ترجو أن ترى ربنا، الطلب الذي طلبه سيدنا موسى أنت تتمناه أصلًا، فلما قال سيدنا موسى {رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ} لو تحقق لسيدنا موسى في الدنيا فقد يكون هناك أمل أن نرى ربنا في الدنيا.

لماذا يعيش المؤمن أصلًا إلا ليرى ربنا، **ما هي قيمة الحياة أصلًا لو أن المؤمن لا يؤمل في النظر إلى وجهه في الآخرة**!! ما قيمة الحياة أصلًا؟!!

فلما قال {رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ} وأنت تسمع: {لَن تَرَىٰنِي} فقلبك ينفطر، المشتاق ولله المثل الأعلى مع أني لا أريد أن أدنس الكلام؛ ولكن.. تخيل الذي يحب امرأة ولم يرها من سنين ويرجو أن يقابلها، وكلما يحاول أن يحدث لقاء ينقطع اللقاء فقلبه يتقطع، ولله المثل الأعلى، المؤمن كلما يزداد قربًا من الله يتمنى أن يرى ربنا، لذلك ستأتي فكرة أن **الموت بالنسبة للمؤمن هو صافرة الوصول وكأن الإنسان يصل إلى وطنه** (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)[9] الموت بالنسبة للمؤمن أنه أخيرًا شوقه سيتحقق، هذا هو الموت عند المؤمن مختلف تمامًا عن بقية الناس، الاكتئاب والانتحار وأنه يتناول أشياء ليموت هؤلاء البعيدين عن الله أسأل الله السلامة والعافية.

فلما سيدنا موسى سمع كلمة {لَن تَرَىٰنِي} وأنت تعيش المشهد قلبك يتقطع، ثم تسمع بعدها: {وَلَٰكِنِ} ماذا؟! هل هناك أمل؟! فأنت ترجع للأمل ثانية بعد {لَن تَرَىٰنِي}، {وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ} فأنت كذلك تنظر إلى الجبل، أنت من بعيد تعايش المشهد.

{ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ} "إن" جاءت للشك كأن ربنا يعرفه أن هذا الذي سيحدث، لكن من شدة شوق موسى نظر إلى الجبل، {فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ} وأنت بالطبع

العيش بعدَ الموتِ ولذَّةَ النَّظرِ إلى وجْهِكَ والشَّوقَ إلى لقائِكَ وأعوذُ بِكَ من ضرَّاءٍ مُضرَّةٍ وفتنةٍ مضلَّةٍ اللَّهمَّ زيِّنَّا بزينةِ الإيمانِ واجعَلنا هداةً مُهتدين.

الراوي : قيس بن عباد أو عبادة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي

[9] مَن أحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ. قالَتْ عائِشَةُ أوْ بَعْضُ أزْواجِهِ: إنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ برِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أحَبَّ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ فأحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ، وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ؛ كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ، وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ.

الراوي : عبادة بن الصامت | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

الصفحة أو الرقم: 6507 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

تتابع هذا المنظر ماذا سيحدث؟ كُشِف الحجاب! كشف الله سبحانه وتعالى جزءًا بسيطًا جدًا من الحجاب فنزل النور على الجبل فدُكَّ الجبل! أنت جالس بعيدًا ورأيت منظر جبل ضخم يتفجر {وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا}.

يقول "محمد قطب" في هذا المشهد: هناك موسى عليه السلام كأنه أغشي عليه في هذا المشهد بعيدًا عن الناس، معايشة هذه المشاهد تنقلك إلى عالم الغيب، مشهد تفجر الجبل مشهد مفزع.

ومن المشاهد كنت قرأت رؤيا سأقرأها عليكم سريعًا كان سعيد النورسي –مصلح من تركيا– يقول أنه رأى رؤيا يقول "رأيت نفسي تحت جبل عظيم وإذا بالجبل ينفلق انفلاقًا هائلًا فيقذف صخورًا عظيمة كالجبال إلى كل أنحاء الأرض، وبينما أنا في هذه الرهبة التي غشيتني رأيت والدتي بقربي –كانت والدته أصلًا متوفيه رحمة الله عليها– فقلت لها لا تخافي يا أماه إنه أمر الله، إنه رحيم إنه حكيم، وأنا في تلك الحالة وهو يطمئنها إذا بشخص عظيم يأمرني وينادي عليَّ قائلًا: "بَيِّن إعجاز القرآن" وقمت من نومي، فأدركت –وقع في صدره– أنه سيحدث انفلاقٌ عظيم وستتهدم الأسوار التي تحيط بالقرآن من جراء ذلك الانفلاق والانقلاب العظيم وسيتولى القرآن بنفسه الدفاع عن نفسه، وذكر جهوده في الإقبال على القرآن وأنها كانت رؤيا فارقة في حياته للإقبال على كتاب الله سبحانه وتعالى.

الشاهد مشهد دك الجبل مشهد مهيب مشهد عظيم، أنت لما تعايش هذا المشهد تشعر بنقلة إلى عالم الغيب.

- أيضًا كيف تنتقل إلى عالم الغيب بكلام اليوم بقضية الذكر.

نرجع لحديث حنظلة وقول النبي صلى الله عليه وسلم (لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون فيها عندي) هذه الحال ماذا يحدث فيها؟ أنه يرى الجنة والنار رأي العين.

هو لا يستطيع أن يبقى في مجلس النبي أربعًا وعشرين ساعة، فما البديل لمجلس النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرى فيه الجنة والنار رأي عين ما البديل الذي عُطِف عليه؟ (وعلى الذكر).

لو داومت على الذكر ماذا سيحدث؟ (لصافحتكم الملائكة في الطرقات) **وكأن الذكر يرتفع بالإنسان إلى حالة أقرب إلى الملائكية، المداومة على الذكر ترتفع بالإنسان ارتفاعًا عجيب.**

- تعالوا نفكر في قضية الذكر ما هو السر في قضية الذكر؟ -عسى ربنا أن يفتح على أحدكم ويخبرنا ما السر في الذكر-، ظللت أفكر ما السر الموجود في الذكر؟ ما الشيء الموجود في الذكر ليمد الإنسان:

1. بإعانة في الجهاد
2. وإعانة في الحج
3. وإعانة السيدة فاطمة لما كانت تريد خادمًا، زوجة في البيت تريد أن يساعدها أحد في أعمال البيت فالنبي يقول لها عليكِ بالذكر.
4. وإعانة لما جاء رجل للنبي عليه الصلاة والسلام فقال إن شرائع الإسلام قد كثُرت علي قال له (لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله).[10]

ما الذي في الذكر يعطي نوعًا من الإمداد؟

الإجابة: إنها **المَعية**.

أيضًا وما الذي يجعل الذكر يجلب المعية؟ وظللت أفكر لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحديث القدسي الذي قال الله عز وجل فيه: (وأنا مع عبدي إذا ذكرني)[11]، لكني ما زلت أشعر بأن الموضوع فيه عمق أكثر من هذا ولعل أحد ربنا يفتح عليه.

من المؤكد أن المداومة على الذكر تعمل شيئًا في الروح، تجعل الروح خفيفة تَسْبَح {وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا} تجعلها تتحرك في الجهاد بكل سلاسة، وفي الحج بكل سلاسة، وأن يتحرك في شرائع الإسلام بكل سلاسة تَسْبَح، والسَّبْح أصلًا من معانيه الحركة بسهولة

---

[10] أنَّ رجلًا قال يا رسولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشيءٍ أتشبَّثُ به قال : لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ
الراوي : عبدالله بن بسر | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترمذي

[11] إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : أنا مَعَ عبدي إذا هوَ ذَكَرني وتحرَّكت بي شفتاهُ
الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه

وقالوا من معاني التسبيح أن الإنسان منطلق في ملكوت الله {وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحا}.

هل السر في الذكر أن الله سبحانه وتعالي خلق الإنسان من روح وجسد من طين، فالروح تتغذى على الذكر لأن الروح من الذي خلقها؟ "الله" {وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي}، فكأن الروح لما تتذكر وتذكر اسم خالقِها تشتاق، تفرح أنها تذكر اسم خالقها، فهل النشاط الذي يجده الإنسان بالذكر هو فرح الروح لذكر خالقها؟! هل هو غذاء الروح فتصبح أقوى من البدن فتقوده؟!

ما الذي في الذكر يجعل الإنسان عنده طاقة ونشاط عجيب ومستمر، ويجعله عادي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بكل قوة، ويُقبل على الطاعات ويتنقل بين الطاعات!

ما الشيء الموجود في المداومة على الذكر يجعل الإنسان يتحرك بين الدين والدنيا ولا تلهيه تجارة ولا بيع؟!

هل هو فرح الروح بذكر خالقها؟! هل غذاء الروح فتنشط {وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطا}، {وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحا} فتصبح الروح نشيطة؟!

ما الذي في الذكر؟! أشعر أن الأمر فيه سر، هل من أسرار الذكر وأسرار تكرار ذكر اسم الله على اللسان "سبحان الله سبحان الله سبحان الله"، لا يفتر ولا يمل.

هل هذا نوع من التشبه بالملائكة، والملائكة لا تفتر عن الذكر {يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ}، والملائكة لا يوجد عندها قضية الجاذبية بل تتحرك وتطير فهل الإنسان يتخلص من أسر الجسد والطين بكثرة الذكر، لذلك النبي ربط بين الملائكة والذكر (لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون فيها عندي وعلى الذكر لصافحتكم الملائكة).

أشعر أن الأمر فيه أسرار، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الرائع لما كان عائدًا مع الصحابة من سفر سواء من غزوة أو من جهاد واقترب من المدينة وكان على مسيرة ليلة من المدينة، أي باقي يوم، ومن أين عرفنا كلمة مسيرة ليلة؟ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال (هذا جُمدان)[12] جبل، فالإمام الطبري استنبط أنهم كانوا على مسيرة ليلة فقال: "جُمدان على مسيرة ليلة من المدينة"، أو كما في بعض الروايات التي ذُكرت وإن كانت في غير الصحيح.

[12] كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، يَسِيرُ في طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ علَى جَبَلٍ يُقَالُ له جُمْدَانُ، فَقالَ: سِيرُوا هذا جُمْدَانُ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ.
الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

فاقترب على مسيرة ليلة من المدينة فبعض الصحابة لما اقترب من المدينة غلبه الشوق إلى وطنه، إلى أهله وولده، إلى زوجه، فبدأ يسبق، ترك الجيش وسبق الجيش، مجموعات سبقت باقي الجيش، وبعض الناس ليس عندها حالة الشوق هذه فكانوا يسيرون على مهل، ليس عندهم شيء يشتاقون له في المدينة.

فالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا من عادته صلى الله عليه وسلم أنه يربط بين الأمور الحسية والمعنوية، أنه يجد جديًا أسكًا ميتًا فيقول لهم (الدنيا عند الله أهون من هذا عليكم)[13]، الأمر الحسي يستقر في الإنسان فلما تربطه بشيء معنوي يزداد استقرارًا.

النبي صلى الله عليه وسلم رأى الصحابة ينظرون إلى البدر قال: (إنكم ترَون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته)[14] أنتم سترون الله رؤية كهذه الرؤية.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لما وجد أن بعض الناس سبق فقال (سيروا هذا جُمدان...) أشار إلى الجبل الذي هو قريب من المدينة (سبق المفرّدون...) وربط مباشرة، الذي سبق هم الناس الذين لهم شوق اشتاقوا إلى وطنهم وإلى أهلهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا الذي سبق أناس آخرون "المفرّدون"، فالصحابة استغربوا من هم المفَرِّدُون؟ في رواية الصحيح: (الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات).[15]

في رواية غير الصحيح في الترمذي وغيره (المستهتَرُون بذكر الله) أُهتِر بالشيء أي يُولع به ويُداوم عليه، الإنسان المستمر يولع بالذكر، لا يتوقف أبدًا عن الذكر، الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات.

جمعت لكم بعض الأقوال في "المفردون":

---

[13] - و اللهِ ، للدنيا أهونُ على اللهِ من هذا عليكم
الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع

[14] خَرَجَ عَلَيْنَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقالَ: إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَومَ القِيَامَةِ كما تَرَوْنَ هذا، لا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ.
الراوي : جرير بن عبدالله | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

[15] كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، يَسِيرُ في طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ علَى جَبَلٍ يُقَالُ له جُمْدَانُ، فَقالَ: سِيرُوا هذا جُمْدَانُ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ.
الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

1. قال ابن قتيبة: "المفرِد" الذي هلك أقرانُه وبقي هو، كل من حوله مات نتيجة السن مثلًا وهو عُمِّر وظل يذكر الله وحده، كل الذين حوله ماتوا وهو بقي يذكر الله سبحانه وتعالى، فكأن الذي يحافظ على الذكر كل من حوله يسقط إلا هو يستمر "أسباب الثبات".
2. قال الأزهري: هم المنقطعون عن الناس لذكر الله "المفَرِّد".
3. وقال غيره: استولى عليهم الذكر فأفردهم عن كل شيء إلا عن الله سبحانه وتعالى فهم يُفردونه بالذكر ولا يضمون إليه سواه.
4. وقيل المفَرّد أي الموحد لأن الله فرد صمد سبحانه وتعالى.
5. وقيل المفرّدون أي المتفردون عن الناس، هؤلاء أناس لهم علاقة خاصة مع ربنا، هؤلاء أناس مختلفة، أناس يعيشون في واقع آخر، عندهم مشاعر من الشوق مختلفة عن بقية الناس.

من الأحاديث الرائعة (ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه)[16] تأمل فاضت عيناه! ما الذي حدث؟ ما الذي حدث لدرجة أن يحدث فيضان من العين "ذَكَرَ الله"، رجل يجلس وحده ما الذي تذكره وهو بمفرده، الإنسان بمفرده يشعر بوحشة لكن هذا لم يشعر بوحشة هذا يشعر بأُنس، ما الذي تذكره؟!

هل تذكر الرؤية؟!

هل تذكر الثواب؟!

هل تذكر السِتر؟!

هل تذكر المعاملة؟!

هل تذكر التوفيق؟!

هل تذكر النعم؟!

هل تذكر الإحسان؟!

[16] - سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.
الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

تُرِك السبب، هو مجرد ذَكَرَ الله وهو بمفرده –خاليًا– فحدث فيضان مشاعر، كانت صورة فيضان المشاعر هي فيضان الدمع، فالدمع الذي نزل تعبيرًا عن فرح القلب، عن فيضان المشاعر الموجودة في القلب هو لم ينزل دمعتين وحسب إنما فاااااضت عيناه، حدث فيضان مشاعر وهو بمفرده هذا هو الذكر، انتقال إلى عالم آخر، هذا هو الذكر الحقيقي، بمفرده ويقول "سبحان الله".

- أنا دائمًا كنت أستحضر أن سيدنا يُوسف وهو في السجن {فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ} ظل سنينًا في السجن بمفرده يقول سبحان الله والحمد لله، لا أدري إن كان هذا نوع من الإحساس أنه اختلى بذكر الله تعالى، إلى أن قرأت أثرًا لأحد التابعين قال مسعر: "كانت دواب البحر في البحر تَسْكُن" دواب البحر تسبح ربنا يمر عليها أوقات تسكن "ويوسف في السجن لا يسكُن عن ذكر الله"، المخلوقات ممكن تفتر أو تتعب ويوسف لا يتوقف عن ذكر الله في السجن.

*الذي يقرأ كلام ابن القيم وكيف أنه لما كان يحدث لهم أزمة وهم خارج السجن ويريدون أحدًا يثبتهم فكانوا يذهبون لشيخ الإسلام ابن تيمية داخل السجن يقابلوه فيثبتهم فيخرجون يمارسوا حياتهم فيمروا بمشاكل فيرجعوا، تخيل الذي بداخل السجن!!!

هم يذهبون لشيخ الإسلام ليثبتهم وهو في الداخل بمفرده، وكان شيخ الإسلام منفردًا، كان في سجن انفرادي ويقول لو أحببت أن أجازي من سجنوني وأعطيتهم كل أموال الدنيا لن أجازيهم على الخدمة التي قدموها لي سجني خلوة وكان أطيب الناس عيشًا، عندما تعايش تعبير ابن القيم لوصف حالة وطِيب نفس شيخ الإسلام وهو داخل السجن ما هذا؟! ما الذي وجده؟!

"وجنتي في صدرى" قيل جنة القرآن أو جنة الذكر، هذا ما قيل لذلك ابن القيم كان ذكر هذا الكلام في "الوابل الصيب" وغيره من كتبه لكن استفاض في "الوابل الصيب" في مسألة الذكر.

فحديث (سيروا هذا جمدان سبق المفرّدون) الذاكر يسبق، ينفرد، لأنه يري في عالم الغيب ما لا يراه الناس، يرى الملائكة تطوف حول العرش، يرى قدرةَ الله المطلقة إذا أراد شيئًا قال له "كن" فيكون، يرى تدبير الله، ويرى حكمة الله، ورحمة الله.

عندما تنظر إلى البضع وسبعين أو غيرها التي ذكرها ابن القيم في فوائد الذكر في كتاب الوابل الصيب ما هذا؟! كلها نصوص وإن كان ليس كل مرة يذكر النص لكن هو استنبطها من نصوص

مثل:

- الذكر يعطي حياة (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت).[17]
- يعطي اطمئنان {أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ}.
- يعطي قوة كما ذكرنا في الجهاد والحج والسيدة فاطمة لما أرادت خادم.
- روح.
- سعادة.
- نور.

كلها معاني لا تأتي إلا أن هذا الرجل الذاكر رأى شيئًا طمأنه، تجد أحدهم مثلًا يطمئن ويهدأ ويسعد حين يكون مثلًا معه مليون دولارًا، فهو ليس خائفًا، لا يشعر بأي إشكال، لا يرى أي مشاكل.

شخص آخر حين يكون له معرفة –واسطة– أو يتقلد منصبًا معينًا يشعر بنوع من السلطان، فالخوف يقل على حسب اطمئنان الإنسان لسبب.

الذكر عندما يجلب المعية وينقل الإنسان إلى هذا العالم عالم الغيب فإنه يجلب هذه الأمور – سكينة– {أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ}.

ما الذى يُطَمئن في السجن؟! سواء شيخ الإسلام ابن تيمية أو الأسبق يوسف عليه السلام، ما الذي يطمئن في البلاء؟ في الغار؟ في بطن الحوت؟ في النار: "حسبي الله ونعم الوكيل" كما قالها إبراهيم في النار، ما الذي يجلب الطمأنينة في أشد الأوقات صعوبة؟

المرء حين يفكر التفكير الدنيوى ما قيمة كلمات يتمتم بها إنسان؟ هل أي كلمات؟ هل أنت تشعر بالطمأنينة والسعادة والسكينة أنك تتمتم بأي كلمات؟ أنك تقول أنا بخير، لا أنا قوي، وتكرر مرات أنا قوي أنا قوي أنا قوي، أم عندما تجلس وتقول سبحان الله وبحمده مائة مرة، **ما الفارق؟!**

وكأن الروح تعرف، وهذا فعلًا الذي يجعل السماع للقرآن مختلف فعلًا وله أثر؛ لأن الذي خلق الروح هو الذي تكلم بهذا الكلام، الروح حين تسمع القرآن تنسجم لأن هذا متوافق معها، الذي خلق هذه الروح ونفخ في آدم من روحه هو الذي تكلم بهذا الكلام، فروح الإنسان، وكلام الله سُمّي روحًا، وذكر الله روح، فيحدث نوع من التلاقي فتحدث الطمأنينة غير أي وسيلة أخرى مختلفة، أى كلام آخر مختلف.

كنت ذكرت سابقًا مسألة تخيل لو أن كل من حولك ملحدون، لا يؤمنون بوجود الله، وأنت معهم في عمل مثلًا من الصباح من الساعة الثامنة إلى الرابعة أو الخامسة، تظل معهم لساعات طويلة،

---

[17] مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ.
الراوي : أبو موسى الأشعري | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

ويسمعونك تقول سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، بالتأكيد هم لا يفهمون ما هذا، ما هي نفس الكلمة التي تكررها باستمرار، هل تحفظ شي؟ ماذا تفعل؟ ويشعرون بنوع من الطمأنينة عليك، كأن هذه الكلمات تجلب لك نوع من الهدوء والطمأنينة والسعادة، حسنًا هل توجد كلمات مثلها ممكن يقولونها تجلب لهم الطمأنينة والسعادة؟ الذكر أصلًا ضد النسيان، فتخيل أنك كمؤمن تشرح لهم ما الذي تفعله! دائمًا عندما تحب أن تعرف قيمة أمر عندك في الدين، أو تعرف قيمة وجمال خَلق من خَلق الله تعامل كأنك تشاهده لأول مرة، أو موقف من مواقف القرآن تخيل كأنك تشاهد هذا المشهد لأول مرة ، لأننا عندنا إشكال "إلْف العادة"، أنك تعودت على: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، –تقولها بسرعة ودون تركيز– فأنت لا تفهم ما قيمة هذا التسبيح، أنت هكذا فقدت قيمته.

كان الشيخ يعقوب أظن في مرة كان يقول: حدثت له نعمة عظيمة في حياته، فأراد أن يشكر الله فقال أنا سأصلي وأجلس أحمد الله، فيقول أنا فوجئت أني أحمد ربنا كل مرة بعد الصلاة ثلاثة وثلاثين مرة، ما هذا! أنك كنت تقول الحمدلله الحمدلله الحمدلله بسرعة فقط –وبدون تدبر–، وهذه خطورة أن تَألَفْ الذكر فيفقد قيمته عندك.

فالشاهد تخيل لو أنك كمؤمن تشرح للناس ماذا تفعل ولم تكرر هذه الكلمات وتقول لهم أنا أذكر ربي، ولله المثل الأعلى لو رجل سافر وترك أهله ووالده، والده الذي أنفق عليه وتعب لأجله وعلمه وكبر ابنه وسافر للخارج في الغربة، تخيل الابن كل فترة أمام أصحابه وفي أثناء العمل يخرج صورة والده ينظر إليها، فأصحابه يقولون له ماذا تفعل؟ يقول لهم أنا لا استطيع أن أنسى فضل أبي عَليّ، وكلما تحدث له نعمة أو يحدث له أمر ترقية أو أمر ما يخرج صورة والده ويتذكر فضل والده عليه، فالناس سيشعرون بقيمة الوفاء عند هذا الشخص.

ولله المثل الأعلى، هكذا المؤمن كلما دخل أو خرج أو قام أو أكل أو شرب أو لبس، في كل شيء يذكر الله، يعلم أن هذا من فضل الله عليه لا ينسىَ الله أبدًا، عنده ذكر خاص، وذكر مطلق، وذكرعام، وذكرمقيد، المؤمن يذكر الله سبحان وتعالى باستمرار.

تخيل لما هذا الشخص يخرج صورة والده دائمًا ووالده يعرف بمثل هذا الأمر، تخيل مدى فرح الوالد بولده، تخيل كيف يُبَاهي هذا الوالد بهذا الولد أمام الناس، ولله المثل الأعلى، تخيل كيف يباهي الله سبحانه وتعالى بالذاكرين أمام ملائكته!

لذلك لما يأتون يوم عرفة ويذكروا الله يباهي الله بهم الملائكة، فتخيل وكأنك تنازع الملائكة في الذكر بالرغم من أصل طينتك فأنت لست مخلوق من نور لكنك تحاول الاقتراب من طُول الذكر، إنما يغلبك

نومٌ أو طعامٌ أو شهوة لكن ما سوى ذلك قدر المستطاع تحاول أن تعمم الذكر طوال اليوم تخيل كيف ينظر الله لك! يعطيك المعية (وأنا معه).

لذلك حديث (أنا مع عبدي إذا ذكرني ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)[18]، في رواية مسلم تكملة الحديث (ومن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا)[19] **وكأن بداية القرب من الله تكون بالذكر.**

-أطلت عليكم وكنا نريد أن نتكلم عن الموسم أكثر من هذا- النبي صلى الله عليه وسلم وصى أحد صحابته قال: (عليك بذكر الله و تلاوة القرآن فإنه)[20] أي الذكر والقرآن, والقرآن أصلًا يسمى ذكرًا {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ} لأن الذكر وظيفته التذكير بحقيقتك، بفقرك، بعجزك، بعظمة الله، بقدرته، هكذا يفعل القرآن، وهكذا يفعل الذكر.

فوصاه: (عليك بذكر الله وبتلاوة القرآن فإنه رُوحك -أو رَوْحك- في السماء وذكرك في الأرض) رُوحك -أو رَوْحك- في السماء كأن الإنسان ينتقل إلى عالم آخر بالذكر.

حاولوا أن يكون الغرض العملي من العشر الأوائل من ذي الحجة هو: إتقان ومعايشة الذكر بالرغم من تقلب الأحداث من حولنا، هذه الوظيفة التي تخرج بها -لأهل الهندسة الذين يريدون كلامًا عمليًا-.

---

[18] - يقولُ اللهُ تعالى : أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم
الراوي : - | المحدث : ابن تيمية | المصدر : مجموع الفتاوى
الصفحة أو الرقم: 292/9 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

[19] قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، واللَّهِ للَّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن أحَدِكُمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بالفَلاةِ، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، ومَن تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإذا أقْبَلَ إلَيَّ يَمْشِي، أقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ.
الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم

[20] - أُوصيكَ بتَقْوى اللهِ؛ فإنَّه رأسُ كُلِّ شَيءٍ، وعليكَ بالجِهادِ؛ فإنَّه رَهبانيَّةُ الإسلامِ، وعليكَ بذِكْرِ اللهِ وتِلاوةِ القُرآنِ؛ فإنَّه رُوحُك في السَّماءِ، وذِكْرٌ لك في الأرضِ.
الراوي : أبو سعيد الخدري | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج المسند
الصفحة أو الرقم: 11774 | خلاصة حكم المحدث : إسناده ضعيف

الكلام العملي: أنه كما أن الغرض من رمضان أن تتعلم أنك تنعزل عن الناس، ويكون عندك القدرة أن تأخذ قرار الانفصال عن الناس والانكباب على القرآن، وتلقي معاني الوحي في خلوة وبُعْد عن الناس، وطول القيام، هذه المعاني تتربى عليها في رمضان، فاجعل الغرض من العشر الأوائل هو أن تخرج بإتقان ومعايشة الذكر بالرغم من كثرة الحركة والاحتكاك مع الناس.

في موسم العشر الأوائل مطلوب منك أن تعمل أعمالًا صالحة ومتنوعة، غير رمضان فأنت تستقر في مسجد، أما في العشر الأوائل فأنت تتحرك: تعود مريض، وجنازة, وتزور، وتذهب لعملك في الصباح وتتحرك، تتحرك بين الناس، كمن ذهب ليحج يتنقل ويسافر والطيارة والمطار والوصول والجوازات ويتحرك والفندق والحركة والإحرام والتنقل ومنى ومزدلفة وعرفات، ويحافظ على الذكر، يتربى كيف أنه في وسط كل هذه الأجواء يحافظ على ألا ينسى.

فأنت اجعل هدفك أن تتقن أن لسانك لا ييبس (لايزال لسانك رطبًا بذكر الله) إذا تركت شيئًا ما فترة يجف، ولسانك إذا تركته يجف، لا، نحن لا نريد للسانك أن ييبس أبدًا.

(لايزال لسانك رطبًا بذكر الله) وكأن اللسان الذي يُنَزِل عليه هذا الندى وهذه الرطوبة وهذا الماء هو الذكر، فهو يصل إلى القلب فكأن القلب يحتاج أن ينزل عليه الغيث بالذكر، وغياب الذكر عن القلب يؤدي إلى قسوة القلب {وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ} هناك أُناس والعياذ بالله تشمئز من ذكر الله والعياذ بالله.

فالكلام العملي الذي نريد أن نخرج به -التدريب العملي-: أن تُحافظ على الذكر في البيت، الزوجة في المنزل بالرغم من أعمال المنزل والأطفال تحافظ على الذكر، تتعلم أنها تحافظ على الذكر، السيدة فاطمة لما اشتكت صعوبة العمل في البيت دلها النبي صلى الله عليه وسلم على الذكر.

ومن الأمور العملية التي ممكن فعلها في هذه الفترة أن نسمع عن فضائل الذكر وهذه من الأشياء التي تُحمسك:

- فضل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وهذه تحتاج درسًا خاصًا.
- سبحان الله وبحمده، لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
- تقرأ مقدمة كتاب الوابل الصيب لـ "ابن القيم".

- ممكن تقرأ –وهذا يفرق جدًا في الذكر بتجارب كثير من الناس–، تقرأ عن أسماء الله الحسنى، الأسماء والصفات لما تقرأ عن الأسماء والصفات تزداد شوقًا لذكره سبحانه وتعالي، حينما تقرأ عن رحمته، عن حكمته، عن تدبيره، عن لطفه، عن ستره للمذنبين، عن مغفرته.

حينما تقرأ عن أسمائه وصفاته تزداد شوقًا فتذكر الله سبحانه وتعالي بشوق لا تذكر بقلب لاهٍ غافل، تذكر الله سبحانه وتعالي بإقبالِ قلب.

- هناك كتب كثيرة للأسماء الحسنى أنصح بكتاب "الأسماء الحسنى والصفات العلى" لعبد الهادي حسن وهبي، ويا حبذا لو تجلس جلسة الضحى بعد الفجر تقرأ اسمًا من الأسماء أو صفة من الصفات وتمكث لتسبح ربنا أو قبل الغروب، والكتاب ممكن يكون نادرًا في السوق شيئًا ما لكن هو موجود pdf.

أو من يحب أن يسمع للنابلسي لكن ينتبه من تأويل بعض الصفات، النابلسي كذلك جيد ويُعايش بعض المعاني الجميلة، وميزة الأسماء الحسنى للنابلسي أنه يُركز على الكلام العملي للصفة ويتجنب قدر المستطاع مسألة التأويل، لكن يقع فيها في بعض الأشياء، هو لا يخوض في هذه الإشكاليات، خاصة أنه أشعري أو يُأوول بعض الصفات، لكن ميزة الأسماء الحسني للنابلسي الكلام العملي للصفة، أنه يحكي لك قصص واقعية كثيرة، وطبيعة الإنسان أنه يحب أن يرى الأثر العملي لحكمة الله، فيحكي مجموعة من القصص العجيبة التي تجعلك تُوقن بهذه الصفة أو بهذا الاسم وتعايش هذا.

الذي يحب أن يقرأ "النهج الأسمى" أو يسمع لأحد أيًّا كان فالأسماء والصفات فعلًا تنقل الإنسان نقلة في عالم الذكر، تجعله يذكر الله كـ "الإحسان" كأنك تراه.

الإحسان العبادة كلها كأنك تراه، وأحد العبادات الذكر، نريدك أن تصل إلى هذه المرحلة: لمرحلة **أن تذكر الله كأنك تراه** ، ذكر مختلف، نقلة في حياتك.

ذكرنا الوابل الصيب، الأسماء الحسنى، ومن الكتب الجميلة –بالتأكيد هو ليس ضروري كل هذه الكتب– من الكتب المؤثرة في قضية الذكر كتاب "فن الذكر والدعاء" لـ "محمد الغزالي" المعاصر، كتاب طيب يُطَوِّف فيه في أدعية النبي صلى الله عليه وسلم في وقفات سريعة.

أو أي كتاب في شرح الأذكار، أي كتاب في معاني الذكر، أي كتاب وأي شيخ أنت تحب أن تسمع له، المهم أن تكسر قسوة القلب والإلف الذي أصبح عندنا في الأذكار، حتى في أذكار الصباح والمساء لمن يحافظ عليها، فحتى من يحافظ عليها يصيبه نوع من الإلف، لم يعد يشعر بالمعنى، لا ينتبه مثلًا أنه يستعيذ بالله من شر نفسه صباحًا ومساء، وأنه خائف من نفسه، ومن التقلبات الرهيبة التي نراها حولنا وسقوط وقيام الناس.

تقلبات رهيبة في الحياة أنت صباحًا ومساء تقدم مقدمة طويلة: (اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي) كل هذه المقدمة لأنك خائف من شر نفسك! أن تستأسد عليك نفسك صباحًا ومساء، فأنت لأنك لا تعايش المعنى وغير مستشعر لما تقول أصلًا فبتالي أنت لا تشعر بالمعنى.

أو أنت خائف من ذنوبك فصباحًا ومساءً مرعوب من ذنوبك وتقول (أعوذ بك من شر ماصنعت) يارب أنا ما صنعته شر ممكن يضيع لي دنياي، ولذلك أنت تستعيذ بالله من ذلك، "ذنوبك" قنبلة ممكن أن تنفجر فيك، (أعوذ بك من شر نفسي).

معاني في الأذكار حاول أن تحرص عليها.

أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

أسأل الله عز وجل أن يبلغني وإياكم هذه العشر، وأن يعيننا فيها على ذكره وشكره وحسن عبادته، الناس تجتهد في الصيام، في الأذكار، حاول تتعلم أن لسانك لا يفترعن ذكر الله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وجزاكم الله خيرًا.